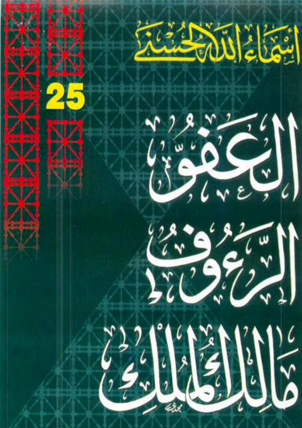


أسماء الله الحسنى
25
العفو
الرءوف
مالك الملك



يُحكى أنَّ الإمامَ جعفرَ الصَّادقَ ، كانَ عندَهُ غُلامٌ يقومُ بخدمتِه . وذاتَ يومٍ وبينما كانَ هذا الغُلامُ يصبُّ الماءَ على يديْه ، إذْ وقعَ الإبريقُ من يدِ الغُلامِ فى الطَّسْتِ ، فطارَ الرَّذاذُ على وجهِه وابتلَّتْ ثيابُهُ ، فأغضبَهُ ذلك ، وبدَا الغضبُ على وجْهِه . فنظرَ إليْه الغُلامُ وقالَ :

ـ يا مولاىَ ، والكاظمينَ الغيْظَ .

فقالَ :

ـ كظمْتُ غيْظى .

قالَ :

ـ والعافينَ عنِ النَّاسِ .

قالَ :

ـ عفَوْتُ عنْكَ .

قالَ :

واللَّهُ يحبُّ المُحْسنينَ .

قالَ :

ـ اذْهَبْ فأنْتَ حرٌّ لوجْهِ اللَّهِ .

وقدْ ذكَرَ الغُلامُ الإمامَ جعْفرَ الصَّادقَ بقولِه (تعالَى) :

﴿ وسارِعُوا إلى مغْفرَةٍ منْ ربِّكُمْ وجَنَّةٍ عرْضُها السَّمواتُ والأرْضُ أُعدَّتْ للمُتَّقينَ * الَّذينَ يُنْفقُونَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكاظِمينَ الغَيْظَ والعافِينَ عنِ النَّاسِ واللَّهُ يُحبُّ المُحْسنينَ ﴾ . (سورة آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤)

فسُبْحانَ اللَّهِ العَفُوِّ الذى يَمْحُو السَّيِّئاتِ ، ويتجاوَزُ عنِ المَعاصى ، ويَعْفُو عنِ الكثيرِ منْ أخطاءِ عبادِه ، وهوَ سُبْحانَهُ يحبُّ العافِينَ عنِ النَّاسِ .

إنَّ العَفْوَ معْناهُ التَّسامُحُ والرِّفْقُ معَ الآخَرينَ ، وعلى الإنْسانِ لكىْ يكونَ محْبُوبًا منَ اللَّهِ ومنَ النَّاسِ ،

أَنْ يَعْفُوَ عَنْ زَلاَّتِ الآخَرِينَ وهَفَواتِهِمْ ، حتى وإِنِ اضْطُرَّ إلى أَنْ يحتَمِلَ أَذاهُمْ ، لأَنَّ الحَياةَ لا تخْلُو مِنْ وُجُودِ النَّماذِجِ الْمُختَلِفَةِ والمُتَعدِّدَة .

والذى يَنْظُرُ إلى أَخْلاقِ الرسُولِ ﷺ يجِدُ أنهُ كانَ قُدْوَةً تُحْتَذَى فى عَفْوِهِ عَمَّنْ آذاهُ . فبَعْدَ أن أَمكنَهُ اللَّهُ مِنْ مُشْرِكِى مَكَّةَ ، خافَ المُشركونَ واختبئوا وتركُوا بُيُوتَهم ، اعْتِقاداً منهم أَنَّ الرسولَ ﷺ سيَثْأَرُ مِنْهُمْ ، بِسَبَبِ ما فعلوهُ معهُ ومعَ أَصْحابِه . لكنهُ جمعَهُم وقال لهم :

- « ما تظُنُّونَ أَنِّى فاعِلٌ بكم ؟ » .

قالوا وهم يطْمعونَ فى عَفْوِه وسَماحَتِه :

- أَخٌ كرِيمٌ وابْنُ أَخٍ كرِيمٍ .

فقال ﷺ :

- « اذْهَبُوا فأَنْتُم الطُّلَقَاءُ » .

وبعْدَ أنْ عادَ من الطَّائِفِ ، وكانَ قد ذَهَبَ إلى أَهْلِها ليَدْعُوَهُمْ إلى الإِسْلامِ فآذَوْهُ وسَخِرُوا منْهُ ، وأَمَرُوا سُفَهاءَهُمْ أن يرْمُوهُ بالحِجارَةِ ، حتى دَمِيَتْ قَدَماهُ ،

رجعَ حَزِينًا يَبْكى ، فأرْسَلَ اللَّهُ له مَلَكًا وقال له :

ـ لوْ شِئْتَ يا مُحمدُ أنْ أُطْبِقَ عليْهم الأخْشَبَيْنِ ، أى الجبلَيْنِ .

فقالَ الرسولُ ﷺ :

ـ كلاَّ ، إنى لأرْجو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ (عزَّ وجلَّ) .

ولذلك فقدْ قالَ (تعالى) عنْ نَبيِّه الكريمِ :

﴿ لقدْ جاءَكُمْ رسُولٌ منْ أنْفُسِكُمْ عزيزٌ عليْه ما عَنِتُّمْ حَريصٌ عَلَيْكُم بالْمُؤْمنينَ رَءُوفٌ رَحيمٌ ﴾ . (سورة التوبة : ١٢٨)

وأفضلُ ما يدْعو به الْمُؤْمنُ ربَّهُ هو طلبُ الْعَفْوِ والْعافيَةِ . « فقدْ سألَ الْعبَّاسُ عَمُّ النبىِّ ﷺ فقال : يا رسُولَ اللَّه ، علِّمْنى شيْئًا أدْعو به ، فقال له الرَّسولُ ﷺ : سل اللَّه الْعافيةَ ، ثم أتاهُ مرةً أُخْرى فقال ﷺ : يا عباسُ يا عمَّ النبىِّ سل اللَّهَ الْعافيةَ فى الدُّنْيا والآخرةِ » .

وفى الحديث الصَّحيح أنَّ السيِّدةَ عائشةَ (رضى اللَّهُ عنها) قالتْ : قُلْتُ يا رسولَ اللَّه ، إنْ أنا وافقْتُ ليْلةَ الْقدْرِ ما أقولُ ؟

قال : قولي : «اللهمَّ إنكَ عفوٌّ تحبُّ العَفْوَ فاعفُ عَنِّي» .

إن اللَّه (تعالى) هو العُفوُّ الذى يحبُّ العَفْوَ عن الناس ، والعَفْوُ قريبٌ فى المَعْنى من الغُفْران ، غير أن العَفْوَ أبلغ من الغُفران ، لأن الغُفران يُنبئُ عن السَّتْر ، أما العَفْوُ فيُنبئُ عن المَحْو ، والمَحْوُ أبلغُ من السَّتْر .

وحظُّ العبد من هذا الاسْم الجليل أن يعفُوَ عن كلِّ من ظلَمهُ ، ويحسنَ إليه لكي يستحقَّ عفوَ اللَّه وغُفرانَهُ ، وأن يكونَ مُتسامحًا مع كلِّ الناس ، أُسْوَةً برسول اللَّه ﷺ ، كما يجبُ أنْ يعلمَ أن رحْمةَ اللَّه وعفْوَهُ وغُفرانَهُ ، ليست للكافر العاصي المُصرِّ على معْصيته ، ولكنها للمؤْمن الصَّادق اللائذ بحمى ربِّه والمُسْتغفر بالليْل والنَّهار يحْذرُ الآخرة ويرْجُو رحْمة ربِّه .



عنْ أَنَس بنْ مالكٍ رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

« والَّذى نفْسى بيَدِه لا يضعُ اللَّهُ الرَّحْمةَ إلا على رَحيمٍ . قلْنا : « يا رسولَ اللَّهِ ، كلُّنا رَحيمٌ . قال : ليْسَ الرَّحِيمُ الذى يرْحَمُ نَفْسَهُ وأَهْلَهُ خاصَّةً ، ولكنَّ الرَّحيمَ الذى يرْحَمُ المُسْلِمينَ » . (رواه أبو يعلى)

واللَّهُ (تعالى) هو الرَّءوفُ بعِبادِهِ جَميعًا ، مؤْمِنهمْ وكافِرهِمْ ، والرَّأْفةُ هى شِدَّةُ الرَّحْمةِ . وهلْ هناكَ أَكْبَرُ منْ رحْمةِ اللَّهِ ، الذى يُجازى بالحَسنةِ عَشْرةَ أمثالِها ، ويُمْهِلُ الكافِرَ ويقبلُ تَوْبَتَهُ إنْ هوَ أنابَ إلى اللَّهِ ؟

ومن رحمته بنا ورأفته أنه (عزَّ وجلَّ)، راعى ظروف كل فرد حين فرض علينا الفرائض، فطالب كلَّ إنسان بما يستطيع، فالزكاةُ يدفعها الغنيُ القادر، ولم يطالب الفقيرَ بها، والحجُّ يؤديه المُستطيعُ، ولا يُطالبُ به غير المُستطيع، والذى لا يستطيعُ أن يُصلِّى واقفاً - بسبب مرضٍ أو عُذرٍ - صلَّى قاعداً أو نائماً.

قال (تعالى):

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

(سورة البقرة : ١٤٣)

وسببُ نُزول هذه الآية أنَّ المُسلمين كانوا فى أول الأمر يُصلُّون فى اتجاه المسجد الأقصى، ثم أمرهمُ اللهُ بأن يتجهوا إلى الكعبة. وجاء بعضُ الصَّحابة إلى الرسول ﷺ

يسألونه عن مصير إخوانهم الذين ماتوا وكانوا يتجهون فى صلاتهم إلى المسجد الأقصى ، وهل تقبل صلاتهم أم لا ؟ فأنزل الله قوله : «وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم» .

وأكبر دليل على رأفة الله بالناس أنه لم يتركهم يتخبطون فى الظلمات ، بل أرسل لهم الأنبياء والرسل ، وأنزل إليهم الكتب السماوية ، لكى تأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة والفلاح ، كما أنه (تعالى) يسر ولم يعسر ، فالدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، والدين تسامح وبر ومودة فى جوهره ، وليس اعتداء ولا تنافرا ولا تناحرا ، وإذا حدث ذلك على مستوى بعض الأفراد ، فهم المسئولون عن ذلك ، لأنهم قد أساءوا فهم رسالة الدين .

وأكثر الناس رأفة هم الأنبياء ، ويكفى أنهم تحملوا مالم يتحمله أحد لكى يرشدوا أقوامهم إلى طريق الحق والخير ، وقد كان محمد ﷺ أكثر الناس رأفة بقومه وحبا

لهم ، قال عنهُ ربُّ العِزَّة في كتابه الكريم .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . (سورة التوبة : ١٢٨)

ومما قاله ﷺ ويدلُّ على شدَّة رحمته قولُهُ :

« مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ ، ومَنْ لا يَغْفِرْ لا يُغْفَرْ لهُ » .

(متفق عليه)

ولذلك ينبغي على أُمَّةِ محمد ﷺ أن تبادله حُبًا بحُبٍّ وثناء بثناء ، فإذا كان رءُوفًا بنا إلى هذه الدرجة ، فيجبُ علينا أنْ نتبع سُنَّتَه ونصلِّي عليه كلما ذكر اسْمُهُ صلواتُ ربِّي وسلامُهُ عليه ، وأن نسأل له عقب كُلِّ أذان الوَسيلةَ والدَّرجةَ العاليةَ الرَّفيعةَ ، وأن يبعثهُ اللهُ المقامَ المحمود .

وكان صحابةُ رسول الله ﷺ رُحماء ورءُوفين بأهلهم وبالنَّاس ، يميلون إلى اللِّين والتسامح وليس إلى الشِّدَّة والعُنف ، وهم في ذلك يقتدون برسول الله ﷺ .

فذات يوم دخل أحدُ الوُلاة على أمير المُؤمنين عمر بن الخطَّاب ، فوجدَهُ مُستلقيًا على ظهره ، وصِبْيانُهُ يلعبُون

على بَطْنِه ، فأنْكَرَ الْوَالِي ذلكَ بِشِدَّةٍ . فقالَ له عُمَرُ :

ـ فَكَيْفَ أَنْتَ مع أَهْلِكَ ؟

فقالَ :

ـ إذا دَخَلْتُ سكتَ النَّاطقُ .

فقالَ له عُمَرُ رضي الله عنه :

ـ فإنَّكَ لا ترْفُقُ بأَهْلِكَ وولَدِكَ ، فكيْفَ ترْفُقُ بأُمَّةِ مُحمدٍ ﷺ ؟!

وقدْ أرْشدَنا الإسْلامُ ورسُولُ الإسْلامِ ﷺ إلى ضرورةِ الرَّحْمةِ والرأْفةِ بالآخرينَ ، حتى إنه أَمرَنا بالرِّفْقِ بالحيْوانِ ، فقدْ دخلَتِ امْرَأةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ حَبَسَتْها ، لا هي أطْعمَتْها ولا هي تركَتْها تأْكُلُ منْ خشَاشِ الأَرْضِ ، كما دخلَ رجُلٌ الجَنَّةَ لأنَّهُ أَحسَّ بما كانَ يشْعُرُ به كلْبٌ منْ شدَّةِ الظَّمأِ فسقَاهُ ، فأدْخلَهُ اللهُ الجَنَّةَ لهذا الصَّنيعِ .

اللهمَّ أنْتَ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ ، ودينُكَ هو دينُ الرَّأْفَةِ والرحْمَةِ ، ورسولُكَ هُوَ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ ، اللهمَّ ارْحَمْنا وارْأفْ بحالِنا وضَعْفِنا ، وتجاوزْ عنْ سيِّئاتِنا ..



بينما كان المسلمون يحفرون الخندق حول المدينة لكي يمنعوا المشركين من الوصول إليهم ، إذ اعترضتهم صخرة ضخمة عجزوا عن كسرها ، فانتدبوا لها الرسول ﷺ ، فحمل المعول وضربها ضربة فصدعها ، فظهر منها بريق أضاء المدينة ، ثم ضربها مرة أخرى فخرج منها بريق كأنه مصباح في جوف بيت مظلم ، فكبر الرسول ﷺ وكبر المسلمون ثم قال الرسول ﷺ لصحابته :

« يفتح الله عليكم ملك فارس والروم » .

فاستبشر المسلمون خيرا وقالوا :

ـ الحمدُ للهِ ، موْعِدُ صِدْقٍ ، وعدَنا النَّصرَ بَعْدَ الحفْرِ .

وهنا قالَ المنافقونَ واليهودُ :

ـ ألا تَعْجَبُونَ منْ محمدٍ يُمَنِّيكُمْ ويَعِدُكُمُ الْبَاطِلَ ، ويُخبِرُكُمْ أنكُمْ ستمْلكونَ مُلْكَ فارسَ والرومِ ، وأنها تُفتَحُ لكمْ ، وأنْتُمْ إنَّما تحْفُرونَ الخَنْدَقَ منْ شدَّةِ الخوْفِ والرُّعْبِ .

وما كانَ منَ المسلمينَ إلا أنِ ازْدادُوا إيمانًا وتَثْبِيتًا ويقينًا باللَّهِ . وأنْزَلَ اللَّهُ (تعالى) قولَهُ (عزَّ وجلَّ) :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

(سورة آل عمران : ٢٦ ، ٢٧)

فسُبْحانَ اللَّهِ مالكِ الْمُلْكِ ، الذى لهُ ما فى السَّمواتِ والأرْضِ ومَشيئتُهُ تنْفُذُ فى مَمْلَكتِه بما يشاءُ ، فيُعطى

مَنْ يشاءُ ويَمْنَعُ مَنْ يشاءُ ، ويَهدى مَنْ يشاءُ ويُضِلُّ مَنْ يشاءُ ، فله مُطْلَقُ التَّصرُّفِ ، ولا اعتراضَ على مَشيئَته وتصرُّفه ، لأنهُ (تعالى) يتصرَّفُ بحكْمَةٍ وعلْمٍ وإحاطةٍ بكلِّ شئٍ .

لقد اعْتَدْنا أن نسْمعَ أنَّ فُلانًا يملكُ مالاً أوْ شركةً أوْ بُيُوتًا ، وهذا الامْتلاكُ هو تفضُّلٌ من اللَّه (تعالى) على عَبْده ، إذ إنهُ هو المالكُ الحَقيقىُّ لكلِّ ما فى الوُجُود ، لكنهُ عندما خلق الإنسان ، علم أنَّ حُبَّ الامْتلاك وغريزَة التَّملُّك منْ صفاته ، فأعْطاهُ بلا حُدود وتفضَّل عليه بلا حُدُود ، وذلكَ لكَىْ يشْعُر بالأَمْن والأمان . ولعلَّ الدليل على صحَّة ذلك أنَّ اللَّهَ (تعالى) حين أمر الأغْنياء أنْ يتصدَّقُوا على الفُقراء ، لمْ يقُلْ : آتوهُمْ منْ مالكُمْ ولكنَّهُ قال : ﴿ وآتوهُمْ منْ مَال اللَّه الَّذى آتاكُمْ ﴾ . (سورة النور : ٣٣)

وسوْفَ تُقرُّ الخَلائقُ كُلُّها بهذه الحَقيقة يوْمَ القيامة ، سواءٌ المُؤمنُ أوَ الكافرُ ، يقولُ اللَّهُ (عزَّ وجلَّ) :

﴿ رَفيعُ الدَّرجات ذُو العَرْش يُلْقى الرُّوحَ منْ أمْره على مَنْ يَشاءُ منْ عباده ليُنْذرَ يوْمَ التَّلاق * يوْمَ هُمْ بارزُون

لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ . (سورة غافر : ١٥ ، ١٦)

واللَّهُ سُبحانَهُ وتعالَى مالكُ المُلْكِ ، لا يملكُ السمواتِ والأرْضَ والبحارَ فقطْ ، ولكنَّهُ (تعالَى) أيْضًا يملكُ الإنْسانَ ذاتَهُ ، فهو الذى خَلَقَهُ وجعلَ له السَّمْعَ والأبْصارَ والأفْئدةَ ، والذى خلقَ هوَ وحْدَهُ الذى يَمْلِكُ .

قالَ (تعالَى) : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ . (سورة يونس : ٣١)

ولأنَّ اللَّهَ (تعالَى) هو مالكُ المُلْكِ ، فقدْ حرَّمَ الإسْلامُ أنْ يتشبَّهَ أحدٌ بذلكَ كأنْ يُسَمِّيَ نَفْسَهُ « ملكَ الأمْلاكِ » .
فعنْ أبِي هُرَيْرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « إنَّ أخْنعَ اسْمٍ عنْدَ اللَّهِ (عزَّ وجلَّ) ، رجلٌ تسمَّى مَلِكَ الأمْلاكِ » . (متفق عليه)
وأخْنعَ اسْمٍ معْناهُ : أذَلُّ اسْمٍ .

فقدْ اخْتصَّ اللَّهُ سُبْحانَهُ بصفاتِ مالكِ المُلْكِ ،

ولمْ يشاركْهُ فى هذه الصفات أحدٌ منْ خلْقه ولا يمكن أنْ تجتمعَ صفاتُ مالكِ المُلْك فى أحدٍ إلا اللَّه (تعالَى) ، لأنه إلى جانبِ امتلاكِه لكلِّ شىءٍ قادرٌ مُقْتدرٌ عليمٌ غنىٌّ حليمٌ يقول للشَّىْءِ كنْ فيكُونُ .

والمُسلمُ الذى يدْركُ حقيقةَ هذه الصِّفَة العُظْمَى ، يجدُ أنَّ اللَّهَ (تعالَى) قدْ كرمَهُ ورفعَ مكانَتَه ، فاللَّهُ (تعالَى) هو مالكُ المُلْك المُستغْنى عن كلِّ شىءٍ ، لا يحتاجُ إلى عبادةِ أحدٍ ومعَ ذلك فقد استخْلفَنا فى الأرْض ، برغْم أننا لسْنا أقْوى خلْق اللَّه ، ولكنَّنا أحبُّ خلْقه إليْه ، وبرغْم ضعْفنا وتضاؤُلنا بالنسْبة لمُلْك اللَّه (تعالَى) الواسع الكبير ، إلا أن اللَّهَ (تعالَى) كرَّمنا ورفَعَ ذكْرَنا وسخَّر لنا ما فى البَرِّ والبَحْر وآتانا منْ كلِّ شىءٍ .

فاللهمَّ يا مالكَ المُلْك ياذا الجَلال والإكْرام ، أكْرمْنا ببركة القُرآن ، وشفِّعْنا بشفاعة القُرْآن ، وباركْ لنا فيما أعْطيْتَ ، واغْفرْ لنا ما أسْررْنا وما أعْلنَّا وما أنْتَ أعْلَمُ به منَّا . .

رقم الإيداع : ٧٩٧٠ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى : ٨-٦١٣-٢٦٦-٩٧٧